التيار الصدري... إلى الخلف در

عريب الرنتاوي

الدستور 27/6/2004

قضى الزعيم الشيعي الشاب مقتدى الصدر الأشهر الأخيرة في قيادة تياره صوب المواجهة مع الولايات المتحدة, وبدا للحظة من اللحظات أننا أمام مشروع "حزب الله-2" أو "حماس-2" في العراق... بيد أن الأسابيع القليلة الماضية, تكشفت عن ميول أخرى للزعيم الشيعي, لا تنسجم أبداً مع الأردية الجهادية الفضفاضة التي حاول التدثر بها, وليس مستبعداً أبداً, أن تبدأ ظاهرة الصدر بالأفول, وتياره بالتراجع.

خلال الأيام القليلة الماضية, حرك الصدر أنصاره في تظاهرات ضد صدام حسين ونظامه المخلوع.. لكأن الرئيس العراقي المعتقل وأركان حزبه ما زالوا جاثمين على مقاعد السلطة الوثيرة.. ولم يكتف المرجع الديني- المشكوك في قدرته المرجعية أصلاً- بذلك, بل وضع نفسه وأنصاره وجيشه المسمى "جيش المهدي" في خدمة الحرب على الإرهاب, وهي الخدمة التي رفضها الأمريكيون في موقف مهين للصدر وللمكانة التي حاول تبوءها.

وقبل ذلك, وفي زمن الهجوم الأمريكي على النجف, ارتضى زعيم جيش المهدي بصفقة مذلة, قوامها حل ميليشياته واقعياً, والتسليم لأجهزة الأمن التي بناها الاحتلال كما كان يقول, والعودة لمظلة المرجعية السيستانية الأولى, مقابل أن يحظى برضى "البيت الشيعي" وأن تطوى أوراق القضية المرفوعة ضده على خلفية اغتيال الشيخ عبد المجيد الخوئي... لكأن الرجل يبحث عن خلاص شخصي, وعن زعامة بأي ثمن وتحت أي مظلة وشعار.

لقد خدع الصدر الكثيرين بشعاراته "الفوق ثورية".. وجاءته القبائل والفصائل السنية مبايعة من الفلوجة حتى أنصار الإسلام مروراً بتفريخات القاعدة ومن هم على شاكلتها.. بل أن بعض المتشددين من حرس الثورة والمحافظين في إيران, لم يترددوا في تبني ظاهرة الصدر وإبداء الاستعداد لمده بالمال الوفير والرجال الذين عاهدوا الله والحوزة على الشهادة.

فإذا بكل هذا المشروع يرتد على عقبيه عندما لاحت في الأفق أول إشارة من واشنطن عن استعدادها لإبرام صفقة مع المجاهد الشاب... فأخذ يصدر الفتاوى والتوجيهات التي تعطي الأولوية لمحاربة بقايا نظام صدام والإرهاب المستورد على مقاومة الاحتلال والاستكبار, وهي الأولوية ذاتها التي يبشر مجلس الحكم والحكومة الانتقالية في هذه المرحلة.

وحتى عندما دعى الصدر للمشاركة في المؤتمر الوطني العراقي الموسع الذي سيعقد الشهر المقبل, لم يبد رفضاً مبدئياً, برغم أن المؤتمر ذاته, وفقاً لمنطق الصدر, هو صنيعة احتلالية, وكل ما أزعج الرجل أنه لن يحظى بالتمثيل الذي يعتقده مناسباً في المؤتمر, وهذا ما دفع برئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدكتور فؤاد معصوم للتعبير عن تفهمه واحترامه لوجهة نظر التيار الصدري.

نحـن أمـام ظـاهرة نشـأت بسـرعة, وليـس مـن المسـتبعد أن تنتهـي بسرعة, لا سيما بعد التقلبات المزاجية الحادة في الممارسات والسياسـات المواقـف, والـتي كلفـت الشـيعة والتيـار الصـدري علـى الخصـوص, ألـوف القتلى والجرحى وملايين الدولارات من الخسائر المادية, وها نحـن نكتشـف الآن, وعلى لسان الصدر ذاته, أن الأمر لا يتعدى لعبة الصراع على الكراسي والمحاصصة التي أصبحت عنواناً مميزاً للنظام العراقي الجديد.